

Le manuscrit d'un évêque d'Edesse du XI^e siècle / Père Ignace Saadé. — Extrait de : Parole de l'Orient : revue semestrielle des études syriaques et arabes chrétiennes : recherches orientales : revue d'études et de recherches sur les églises de langue syriaque. — vol. 28 (2003), pp. 659-664.

Titre de couverture : Actes du II^{um} symposium syro-arabicum, Sayyidat al-Bir, septembre 1998, Etudes arabes chrétiennes. t. 2. — Textes en français et en arabe.

I. Manuscrits — 11^e siècle. II. Syriaque (Langue) — Manuscrits.

PER L1183 / FT143881P

LE MANUSCRIT D'UN ÉVÊQUE D'ÉDESSE
DU XI^e SIÈCLE

PAR
Père Ignace SAADÉ

Introduction	660
A. Titre de l'ouvrage	660
B. Le thème de l'ouvrage	660
C. L'Auteur	661
D. Le traducteur arabe	663
E. Le nom du copiste du manuscrit de Kreim et sa date	664

INTRODUCTION

Il s'agit dans cet exposé d'étudier le manuscrit syriaque (n° 61 Kreim) à partir des cinq points suivants: le titre, l'auteur, le thème, le traducteur, enfin le copiste du codex.

A. TITRE DE L'OUVRAGE

Le premier point qui se présente est de savoir le titre exact de cet ouvrage. Les chercheurs, se basant chacun sur un aspect particulier du manuscrit, ont avancé cinq titres différents, à savoir:

أ- كتاب عام لكل الطوائف؛

ب- كتاب مجموع لكل الأمم التي تحت السماء الذي به يعلم على معرفة الحق كيف يُعرف؛

ج- المعرفة الحقيقية الكاملة؛

د- معرفة الحق؛

هـ- علة كل العلل أو علة العلل.

Cependant, on n'a pas besoin d'aller très loin dans cette affaire; car l'auteur lui-même signale très clairement le titre de son ouvrage dans le 3^e principe qui vient immédiatement après l'introduction, où il dit: كتاب عام لكل الطوائف, et jamais «Cause de toutes les causes»; ce serait prendre le tout pour une minime partie, car cette expression n'apparaît qu'une ou deux fois dans le titre du 8^e chapitre de la première partie: هل هو علة العلل وخالق البرايا كلها؟

Il s'agit d'un attribut divin parmi tant d'autres développés dans les autres chapitres:

«على اتكال ورجاء قوة الأزلي ومعونة الطبع الواحد الأولي وعلة كل العلل وخالق كل البرايا وصانع كل المنظورات وغير المنظورات نبتدى نكتب كتاب مجموع لكل الأمم التي تحت السماء الذي به يعلم على معرفة الحق كيف يُعرف».

B. LE THÈME DE L'OUVRAGE

Le deuxième point est le thème de l'ouvrage dont la table des matières comprend neuf parties englobant 63 chapitres. Cependant, tous les manus-

crits connus (dont celui de Kreim) s'arrêtent à la fin du chapitre 2 de la 7^e partie, soit 48 chapitres. Il y manque donc 15 chapitres.

Les thèmes traités sont:

- ١- ماذا يجب على الإنسان أن يعرف؟ وما هو الحقّ والباطا؟ معرفة وجود الله الواحد والمثلث الأقانيم علّة العلل والخالق والمدبّر.
- ٢- الغاية من خلق المخلوقات. وهل هناك عالم آخر وكيف هو؟
- ٣- الغاية من خلق الإنسان وكيف يفكّر ويعمل؟ وهل يمكنه أن يعرف الله الواحد؟
- ٤- التوراة. متى خلق الله العالم وكيف اتّحدت العناصر التي أبدع منها كلّ شيء؟
- ٥- خلق النور والأفلاك والكواكب وطبيعتها ومنازلها وانكشاف الشمس والقمر.
- ٦- عالم ما تحت الفلك والغمام والبروق والرعود والأمطار والثلج وتعاقب الفصول.
- ٧- الطير والحيتان وما يدبّ تحت المياه والأرض والتراب والحجر والمعادن (هنا ينتهي الكتاب).
- ٨- هل نموّ الإنسان في المعرفة يزيده علمًا ويفيده ليصعد إلى المعرفة الحقيقيّة؟
- ٩- ملكوت السماء والسعادة للصالحين ودينونة الأشرار وتناسل الأجيال البشريّة وأسباب اختلاف لغاتهم وأشكالهم وأصواتهم.

C. L'AUTEUR

Le troisième point constitue la grande question à laquelle on ne trouvera jamais de réponse: Qui est l'auteur de cet ouvrage? L'auteur lui-même, dans une longue introduction, relatant les péripéties de sa vie, ne se nomme pas, se limitant à dire que «Dieu seul connaît son nom». Je cite in extenso:

«أحيكم الحقير والصغير شريك في العبوديّة مع جميعكم. إنسان فقير من مدينة الرّها بين النهرين التي هي أمّ المدن التي ما بين الفرات والدجلة النهرين العظيمين. بفرط الودّ الحقيقيّ ومحبة إلهيّة أعرفّ حضرتكم الشريفة وحكمتمكم الحقيقيّة: إنني

أنا الحقير أريكم كيف تقدّمت لدرجة القهرمانيّة في رأس الشعب. وأن ترؤسي على الجماعة باختيار الله كان أم بفعل الناس، الحمد للعارف الذي يعلم ذلك وحده. وإني قد مكثت في خدمة التّؤس على جماعيّ نحو ثلاثين سنة وبأشياء كثيرة وشدائد جزيلة ونابهيّ مشقّات واضطراب متقلّبا في هذا العالم المقلق والمظلم كما جرت عادة رؤساء الكهنة أن يقاسوا من مراعاتهم المرؤسين عليهم. ولما سقطت وقمت مرارا كثيرة وتأملت متحرّبا فهربت متعبداً وابتعدت هاربا. ثمّ دُعيت راجعا مغلوبا من أمواج العالم المضطرب. حينئذ تأملت في ذاتي بأنني إن لم أولّ هاربا بالكليّة وأبتعد من تقلّبات العالم بالتمام وإلّا فتظلم نفسي ويعتم عقلي وأصير هالكا من الحياة الحقيقيّة. ثمّ بعد ذلك انتفضتُ بأفكاريّ متشكّكا أن ربّما هذا لم يكون من طرق الحقّ أو لعلّ بعد فراري أتضايق سواء كان محبة للبشر أو إلزاما قسريا أو تجربة تصيبيني فأرجع ثانية إلى العالم. وفيما كنتُ ما بين هذه الأفكار قلقا مغموماً وكنْتُ أتضرّع إلى الربّ الصالح الذي لا يهمل مخلوقاته أن هو يثبت أفكاريّ ويقوّي نفسي. حينئذ تشجّعتُ بأفكاريّ ضامرا على الابتعاد والخروج من العالم. ثمّ ازدتُ شجاعيّ كثيرا فعلمتُ أنّ هذا الفكر فيّ من جناب البارئ تعالى. بل وفي ذلك الزّمان تكاثرت عليّ التجارب متنوعة صعبة مختلفة جدا إذ انتصب قبالي قوم مضادين لي لأنني كنتُ أوبّخهم لأجل تهاونهم بمعرفة الحقّ. وكنْتُ أوعظهم برفق ومحبة أن يكفوا عن أفعالهم الرديئة المهلكة كعادة الرعاة أن يعظوا ويعلموا الشعب. فلذلك اشتدّت ضدّي التجارب متضاعفة بنسوع لا يطاق حتّى أن لم يبق لي ملجأ إلاّ الفرار والابتعاد والخلاص من العالم ومن تقلّباته الباطلة والممتلئة رياء وأخذ الوجوه. ففي ذلك الزمان بعينه أدبرتُ هاربا إلى جبل خاوي ومدبر قفر معدوم من الناس مخالطة ومحجوبا بعيدا من المعابر والسبيل. فهناك أخترتُ لنفسني السكنى بالسكوت والوحدة بقرب من ثلاثة أحوه متواجدين متفقين بالسيرة الفاضلة. فصرت كلّما تخاطر في بابي تلك الأمواج العالميّة فكنْتُ أفزع وأرتعد كمن يرتعد من الوقوع في النار الملتهبة أو كمن يطرح في البحر الهائج. هكذا بين الأهوال والوحدة بعيدا عن مخالطة العالم مقدار ذلك تقوّي وتشدّد وتشجّع ضميري ووجدتُ نفسي حالة في فرح عظيم وعزاء جسيم لا يوصف لأنّه بدأ يشرق عليّ نور الحقّ. وبعد ذلك هدأتُ أفكاريّ وبدأتُ أطرّح ذاتي أمام الربّ الجواد شاكرّا إنعامه الكثيرة الغير موصوفة التي أنعم بها على

حقارتي الشقيّة. وعاد قلبي يترحم بالرحمة والمودّة نحو المطاردين والمحرزين نفسي مصلياً ومتضرّعاً لله ليعينهم ويخلصهم من ظلام عدم المعرفة وأنهم قد بغضوني وطرّدوني. أمّا بغضتّهم سببت لي خيراً ومعونة عظيمةً وِعوض غشّهم وظلمهم إياي فوجدتُ رحمةً جزيلاً واستفقاذاً من نعمة الله إذ أشرق عليّ نور الحقّ. ولما مكثتُ زمان ما بالهدوء وعدم المكاملة داخلي رأيتُ عن الخليقة والخالق وأخذتُ أهدس متفكراً في نفسي بهذا زماناً كثيراً ما لم أشته شيء آخر سوى أن أعطى موهبة الحقّ مصلياً وطالِباً من الله من أجلها. ولما رأى الخالق حسن طلبتي منحني ما قد طلبتُه مع كوني غير مستحقّ لكنّه كما يليق بشأنه وصلاحه الغير موصوف لا كما أشتهي أنا...

فلأجل ذلك ضمّرتُ أن أكتب هذه لكلّ الطوائف لكي حيثما يوجد إنسان كسلان ومتهاون مثلي يقرأه يسمع فينتبه من نومه وغفلته ويهرب من ظلام عدم المعرفة ويسلك طريق النور الحقيقيّ ويصل لمدينة أورشليم العليا ويتلذذ مع الملك العظيم ربّ المجد المفتوح بابه لكلّ مَنْ يقرع به ولا يردّ مَنْ يريد القبول إلى ملكوته وتتسع مملكته كلّ الخلائق والعالمين أجمعين».

Le patriarche syro-orthodoxe Éphrem Barsoum affirme qu'il s'agit d'un évêque jacobite d'Édesse du XI^e siècle, oncle de l'évêque Athanase de Ḥoṣn Baṭrīq, et que le Patriarche Michel le Syrien (mort en 1199) ne le mentionne pas dans la liste chronologique de tous les patriarches et évêques syriens. D'autres spécialistes l'ont confondu avec Jacques d'Édesse, mort en 708, plus de 30 ans avant lui.

D. LE TRADUCTEUR ARABE

Le quatrième point est de savoir le nom du traducteur arabe du manuscrit et sa date. Bien que l'auteur, à la fin de sa longue introduction, demande instamment à ses lecteurs de le traduire et de le divulguer dans le monde entier:

«أن يفسّر هذا الكتاب ناقلاً نسخته من مكان إلى مكان ويصحّح الغلط متممًا نواقصه ويترجمه من لغة إلى لغة مرسلًا إياه من أمة إلى أمة وينسخه من سفر إلى سفر حسب ما يستطيع ويمكنه ذلك لكي تمتدّ وتنتشر نعمة ربنا الصالح والواهب بغزارة...».

Le manuscrit a dû attendre 700 ans pour voir sa version arabe faite en 1729, par un moine syrien du nom de ʿAbd el-Nūr al-Āmidī.

E. LE NOM DU COPISTE DU MANUSCRIT DE KREIM ET SA DATE

Le cinquième et dernier point consiste à savoir le nom et la date du copiste du manuscrit de Kreim. Le copiste se limite à dire, à la fin du 2^e chapitre de la 7^e partie: «الفقيه عبد النور الأمدي راهب سرياني», sans donner ni son nom ni la date précise de la transcription qui serait vers la fin du XVIII^e siècle.

Directeur de la revue «al-Manārah»

P. Ignace SAADÉ

Collège des Apôtres

B.P.: 1275 - Jounieh - LIBAN

Tél.: (961) 9.934977

Fax: (961) 9.934865

E-mail: kreim@opuslibani.org.lb